محمد الماغوط

# ثلاث قصائد

## الظلّ والهجير

كل حقول العالم ضد شفتين صغيرتين
كل شوارع العالم ضد قدمين حافيتين
حبيبتي
هم يسافرون ونحن ننتظر
لهم السفن والمراكب البعيدة
ولنا الشمس الساطعة والعيون الرمداء
هم يملكون الاهداب
ونحن نملك الغبار والدموع
يملكون المشانق ، ونملك الاعناق
يملكون الدمى ، ونملك الاطفال
يملكون اللآلىء ، ونملك النمش والتواليل
يملكون الليل والفجر والعصر والظهر والنهار
ونملك الجلد والعظام

لا تنظري الى السماء يا حبيبتي
لم يعد فيها موطىء لاستغاثة
نزرع في الهجير ، ويأكلون في الظل
اسنانهم بيضاء كالارز
واسناننا موحشة كالغابات
صدورهم ناعمة كالحرير
وصدورنا غبراء كساحات الاعدام
عصافيرهم تغرد على الاغصان

وعصافيرنا تبكي على الاغصان
جراؤهم تزهو مع الخدم في الشرفات
وجراؤنا تنبح وحيدة في الازقة
يقطفون الزهور للموائد
ونقطفها للفراق والذكرى .

لا تبكي يا حبيبتي ، لا تبكي
لم يعد في الارض متسع لدمعة .
انثري دموعك في الريح
لعل الفراشات الجائعة تذكرنا .
انثري مخالبك في الريح
والتفتي اليّ ، كالنمر داخل القفص .

نحن ملوك العالم :
بيوتهم مغمورة باوراق المصنفات
وبيوتنا مغمورة باوراق الخريف
في حقائبهم عناوين الخونة واللصوص
وفي حقائبنا عناوين الرعد والانهار.

هم يملكون النوافذ
ونحن نملك الرياح
هم يملكون السفن
ونحن نملك الامواج
هم يملكون الاوسمة
ونحن نملك الوحل
هم يملكون الخدود الموردة
ونحن نملك الاظافر
هم يملكون الاسوار والشرفات
ونحن نملك الحبال والخناجر.
والآن ، هيا لننام على الارصفة يا حبيبتي .

# سلميّة

سلمية ، الدمعة التي ذرفها الرومان
على اول اسير فك قيوده باسنانه
ومات حنيناً الى الطيور .
سلمية ، الطفلة التي تعثرت بطرف اوربا
وهي تلهو باقراطها الفاطمية
وشعرها الذهبي
وظلت جاثية وباكية ، منذ ذلك الحين
دميتها في البحر ، واصابعها في الصحراء .

يحدها من الشمال ، الرعب
ومن الجنوب ، الحزن
ومن الشرق ، الغبار
ومن الغرب ، الدموع والقيثارات .

فصولها متقابلة ابداً
كعيون حزينة في قطار .
نوافذها مفتوحة ابدا
كأنها افواه تنادي ، افواه تلبي النداء .
في كل حفنة من ترابها
جناح فراشة ، او قيد اسير
حرف للمتنبي او سوط للحجّاج
اسنان خليفة ، او دمعة يتيم .

زهورها لا تتفتح في الرمال
لان الاشرعة مطوية في براعمها
اشجارها لا تبلغ السماء
لانها تكره الوحدة حتى في السماء .
لسنابلها اطواق من النمل

ولكنها لا تعرف الجوع ابدا
لان اطفالها بعدد غيومها .
لكل مصباح فراشة
ولكل خروف جرس
ولكل عجوز موقد وعباءة
ولكنها حزينة ابدا
لان طيورها بلا مأوى .

كلما هب نسيم في الليل
ارتجفت ستائرها كالعيون المطروفة .
كلما مر قطار في الليل
اهتزت بيوتها الحزينة المطفأة
كسلسلة من الحقائب المعلقة في الريح
والنجوم اصابع مفتوحة لالتقاطها
مفتوحة — منذ الابد — لالتقاطها .

## حتى الاغصان ترتجف

كالغربان المولية الادبار
سأصرخ ياحبيبتي
اذا لم تعطيني سراجك في الليل
وذراعك في الشيخوخة
ولقمتك في المجاعات
وسريرك في الزمهرير .

سأحشو مسدسي بالدمع
واملأ وطني بالصراخ
اذا لم تعطيني جناحا وعاصفة ، لأمضي
وعكازا من السنونو ، لاعود .

حتى الاغصان ترتجف
عندما انظر اليها وابكي .

آه لو ان الايام المتوالية
تنال من روحي واصابعي وعينيّ
ما تناله السكين من الثمرة
والريح من الاغصان
لامسي طفلا صغيرا ، بطول المدفأة
لاحرق العالم
واصنع من رماده كفنا لدراجة صغيرة اعرفها
مزمارا حزينا لوطن قديم اعبده .

ثلاثين عاما لم اهز دمية
لم امتطِ وسادة
لم اتعثر بحصير .
لم تعضني نحلة
لم ينهرني جدّ
لم اتشبث بملاءة
لم ابكِ في زقاق .

ثلاثين عاما
لم ارَ علم بلادي مبللا بالمطر
وانا انفخ راحتي في الزمهرير
واغني موطني ... موطني...